مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
مؤتمر اللغة العربية وآدابها الدولي الثاني // أربيل 30 - 31 / 7 / 2025
doi.org/10.52866/esj.2025.30

مصادر الصورة الشعرية في شعر أحمد مطر
دراسة وصفية

م.د.نور عقيل محمد سعيد
الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات - قسم اللغة العربية

مستخلص:

يعد الشاعر أحمد مطر من الشعراء المعاصرين اللذين انتهجوا خطا أدبيا مائزا أهلهم ليكونوا في مقدمة الشعراء المعدودين في شعر التفعيلة ، ربما يعود ذلك لشجاعته و تصميمه على خوض غمار الحرب الفكرية ضد الفساد السياسي فضلا عن دفاعه المستميت عن القضية العربية الشرعية الا وهي قضية فلسطين.

وقد رسم من خلال شعره صورا حادة الزوايا تدرك بواسطة الخيال حجم الظلم الذي مورس ضد الفرد العربي من خلال حكوماته عامة والفرد الفلسطيني المحارب من أجل قضيته خاصة ، مجسدا فيما يرسم المعاناة النفسية لأرواح وثابة تتطلع نحو الحرية والعدالة.

الكلمات المفتاحية : الصورة ، الشعرية ، أحمد مطر.

Sources of Poetic Imagery in the Poetry of Ahmed Matar
A Descriptive Study

Asst. Prof. Dr. Noor Aqeel Mohammed Saeed
Al-Iraqia University / College of Education for Women - Department of Arabic Language
Noor.a.mohammed@aliraqia.edu.iq

Abstract :

If modern poets have altered the form and content of contemporary poetry to meet the demands of modernity, Ahmed Matar went further by completely redefining it. He moved poetry from the balconies of lovers, gardens of affection, and shores of longing to prisons, detention centers, and the dungeons of darkness, transforming it into a living and enduring witness to the suffering and calamities of the oppressed. Historically, Arabic poetry often served as a medium for entertainment, amusement, and joy. However, Matar transformed it into a revolutionary statement and a slap that startles the sleeping and exposes the tyrants' faces. While some traditional Arabic poems used to enter the palaces of the wealthy with bowed heads, submissive and flattering, Matar turned poetry into a dagger in the side and a sudden shot that disrupts their peace and ends their arrogance.

Discussing Ahmed Matar is a subject full of depth and emotion. He is a great poet, rich in thought, language, and imagery. Most importantly, he demonstrates a serious and firm stance regarding the issues of his nation and profound respect for his own integrity. Early in his life, he threw himself into the fire because his conscience would not allow him to remain silent or wear festive attire at a funeral. Filled with anger, sorrow, and rebellion, he declared a revolution against all forms of corruption. Each of his poems merits study, and every aspect of his poetry requires in-depth analysis to fully appreciate its value in academic research.

keyword: picture , poetry , Ahmed matter .

المقدمة

إذا كان الشعراء المحدثون قد غيروا شكل القصيدة الحديثة ومضمونها بما يتلاءم مع متطلبات الحداثة فإن أحمد مطر مزق خريطتها، ونقلها من شرفات العشاق، وحدائق المحبين وشواطئ المشتاقين إلى ظلمة السجون وضيق المعتقلات ، وأقبية الظلام، وجعلها شاهدا حيا خالدا على عذابات المظلومين ونكباتهم ، وقد كانت القصيدة العربية في الماضي من الزمن وسيلة تطريب ولهو ومرح ، حتى جاء أحمد مطر ليجعلها بيانا ثوريا وصفعة تفاجئ وجه النائم وتمسخ وجوه الطغاة ، كما اعتادت بعض القصائد العربية أن تدخل قصور الأغنياء مطأطأة الرأس خاضعة مادحة، حتى جاء أحمد مطر وحوّلها إلى سكين في الخاصرة، وطلقة مفاجئة تعكّر صفوهم وتنهي غطرستهم .

الحديث عن الشاعر أحمد مطر ذو شجون ، فهو شاعر كبير، ثريّ بفكره ولغته وصوره ، والأهم من ذلك كله موقفه الجاد و الحازم من قضايا أمته، واحترامه لنفسه ؛ إذ ألقى بنفسه في فترة مبكرة من حياته في دائرة النار ؛ لأن نفسه لا تطاوعه على الصمت ، و ارتداء ثياب العرس في المأتم ، فغضب وحزن وتمرّد ، وأعلن الثورة على كل فساد ، وكل قصيدة من شعره تصلح موضوعًا لبحث ، وكل ظاهرة من شعره تحتاج إلى دراسة معمقة، كي تفيه حقه من الدرس والبحث.

وعلى الرغم من أن قصائده حادة وغاضبة إلا أن أحمد مطر الإنسان كان وديعاً بالغ التهذيب والحياء، مما يؤكد أن الأفكار العاصفة والمشاعر العنيفة ليست بحاجة إلى إنسان صاخب شديد الصراخ لكي يعبر عنها ، فعواصف الفكر والفن مكانها القلوب والعقول ، وليس مكانها تشنجات في الصوت أو في اليد والوجه كما يفعل البعض .

تناولت في هذا البحث دراسة الصورة الشعرية عند أحمد مطر ، وقد قسمته على مقدمة ومبحثين، تناولت في المبحث الأول حياته وشعره وفي الثاني أنماط صوره الشعرية مع نماذج تطبيقية ثم الخاتمة مع ذكر قائمة المصادر وقد اتبعت في دراستي هذه المنهج الوصفي التحليلي وأسال الله التوفيق والقبول.

المبحث الأول : الشاعر حياته وشعره

ولد الشاعر أحمد مطر في منطقة التنومة في محافظة البصرة سنة 1950م من أبوين ينحدران من محافظة العمارة ، وبعد مدة من ولادته تركت عائلته ناحية التنومة وانتقلت للعيش عبر نهر شط العرب في محلة الأصمعي جنوب العراق[1]، أما والده فهو رجل شرطة أحيل على التقاعد سنة 1962م ، وللشاعر من الأخوة خمسة وكذلك من الأخوات وترتيب الشاعر بين الذكور هو الرابع[2] ، أكبر أخوته هو السيد (علي) الذي تعرض إلى ضغوطات عدة حاله حال أفراد أسرته ، ما أضطره إلى الهجرة إلى إيران بعد خروجه من السجن في نهاية السبعينات وهو الآن من أساتذة الحوزة العلمية هناك ، وشقيقه الآخر هو السيد خالد الذي تعرض للاعتقال وتم اعدامه في السادس عشر من شهر حزيران من عام 1983م ، والثالث هو السيد (طاهر) الذي اعتقل سنة 1981م ، واطلق سراحه في السادس والعشرين من شهر كانون الأول من عام 1991م ،

(1) ينظر : أجمل أشعار أحمد مطر ونبذة عن حياته، تحقيق: بنان أبو عيد، دار حمورابي للنشر، ط1 2007م، ص11.

(2) ينظر: مجلة «الأديب» الطلابية، الكويت، العدد 1، إبريل 19،1985، ص6 .

وأخوه السيد (زكي) الذي تخلص منه النظام خلال حادث سير، وأما والده فقد تعرض للاعتقال سنة 1981م، وتوفي سنة 1983م، بعد أن أفرج عنه بقليل[3].

اتحدت في شخصية الشاعر صفات عدة ، جعلتهُ مؤهلاً لأن يحمل على كاهله هموم شعبه ، ومحاولة النهوض بهذا الشعب من تحت أنقاض التخلف وتظهر من خلال قصائده شخصيته الحقيقية التي تعكس روح الفنان المتمردعلى قوانين الشعراء ، فلم تكن له قضية بقدر ما كان هو نفسه قضية جعلت قراءة شعره علناً تهمة يعاقب عليها القانون في بلاد العرب كلها[4].

ظهرت روح الشاعر من خلال شعره مفعمة بالأسى والخوف ، ولكنه بطبيعته الساخرة يمزج السخرية بالحزن ويرى الدارسون أن سخريته غير مستغربة ، لأنه من خلال قراءاته لواقع شرائح المجتمع وجد أن من يحسنون السخرية والإضحاك هم أكثر الناس امتلاء بالحزن ! ، فضحكه ضحك مر من شدة البكاء ، كذلك انمازت همة الشاعر بعدم ركونه للملل أو اليأس وهذا ما يؤكده الاستمرار بنظم القصائد المتفجرة التي يصدم بها يومياً قصور الظلام ، ولعل بارقة الأمل التي تتوشح بها قصائده وتوعد بواقع جديد تدل على ذلك ، لقد تسلح (أحمد مطر) بشجاعة نادرة يفسرها هو بهستيريا الحرب التي تعتري أجبن الناس في ميادين القتال ، فطول معاشرته للخوف جعلته حيوانا أليفا بالنسبة إليه يتجاهل وجوده ويسخر منه، ويظهر ذلك بوضوح في بعض قصائده ، مثل قوله :

(3) ينظر: مجلة الوطن العربي، الكويت، مايو 1985، العدد 431 ،ص54.

(4) ينظر: شاعر جديد يلفت الأنظار، بقلم رجاء النقاش، مجلة (المصور) ، القاهرة ، 1987-4-17 ، ص17.

يرجف الناس من الخوف
ولا يبدو علي الارتجاف
يصمت الناس من الخوف
ووحدي مستمر بالهتاف
يهرب الناس
إذا الشرطي طاف
وأنا اتبعه طول المطاف![5]

المبحث الثاني :
مصادر الصورة الشعرية عند أحمد مطر

لعل من أهم اقضايا التي شغلت أحمد مطر قضية الوطن والانتفاضة والحرية وغيرها الكثير من الامور والقضايا السياسية والاجتماعية ، ومنها حبه الوطن بمعناه الشامل أرضاً وتراثاً وحضارة ولغة ، فشاعرنا ينطق باسم حضارة عريقه ويصوغ لغة جديدة ينبوعها البيئة وعناصرها مستمدة من عناصر الطبيعة الغنية لأرض الرافدين .

إن العودة إلى الحياة والطبيعة اقتضيا من شاعرنا التمرد على التقاليد البغيضة الثورة على الحكام الطغاة والمؤسسات التي تحكمت في البلاد والعباد على حد سواء ، كما كان جو مدينة البصرة التي عاش فيها الشاعر سنين عمره الأولى وصباه مشبعا باراء وأفكار الغضب والتمرد .

فقد نشأ احمد مطر في بيئه ريفية زراعية ، وتفاعل مع كل ما فيها من شجر وحجر وأنهار وبساتين وفلاحين ، مما يجعله يكتشف حجم المعاناة التي يلقاها الانسان في هذه البيئة أمام بذخ الحكام وتسلطهم .

فكل شي في بيئته من فقر وحرمان وبراءة وشموخ الإنسان المستمد من طبيعة مدينته الغنية

(5) المجموعة الشعرية الكاملة، أحمد مطر ، ص245.

بنخيلها وجداولها ، وكل شي يوحي بالغضب والتمرد على طواغيت الحكام ويزيده اصرارا على التحدي والتصدي ماثل في شعره لتجذره بالارض، فانهار العراق وجداول البصرة ومياه شط العرب طهرت نفسه وحفزته على التمرد والثورة والاستمرار في مواجهة السلطات الحاكمة في وطنه [6].

من هنا كان شاعرنا واقعي الرؤيا ينفذ الى نفس المواطن العربي ويضيء فيها أخطر القضايا ،

وفي قصيدته التي هي بعنوان «الجزاء» يقول[7] :

في بلاد المشركين
يبصق المرء بوجه الحاكمين
فيجازى بالغرامة
ولدينا نحن أصحاب اليمين
يبصق المرء دماً تحت أيادي المخبرين
ويرى يوم القيامة
عندما ينثر ماء الورد والهيل
بلا أذن على وجه أمير المؤمنين

ففي هذا النص الشعري صورة بصرية ساكنة، فقد رصد الشاعر من خلال مقارنة ما يتعرض له الانسان العربي بصفة عامة والإنسان في بلد الشاعر بصفة خاصة من ظلم وقهر واضطهاد وذلك بتوظيف بعض الالفاظ المأخوذة من البيئة الخاصة بالشاعر مثل أصحاب اليمين والمخبرين ويوم القيامة ، ماء الورد ، الهيل ، فهذه المجازات مستوحاة من التراث الديني لكن نثر ماء الورد والهيل موروث شعبي يدل مجازاً على تكريم الحاكم وهو ما يمكن أن يكون معادلاً للمراء والملق إذا كان الحاكم ظالماً .

ويقول أيضاً في قصيدة له تحت عنوان (هتاف الرحمن) [8]:

في بلادي
ثورة تدفن ثورة
جرة تكسر جرة
والهتافات بأفواه الجماهير تجيش
كل مرة
يسقط الذاهب
والآتي يعيش
يا يعيش
والرحى تهتف للبذر الذي تحمله
في كل دورة
والرحى تبقى رحى
والبذر من بعد الهتافات يطيش
بين قشرة وجريش
صحوة الطاغوت خمر
والهتافات حشيش
أه لو ألقى على التاريخ نظرة
آه لو لو حاول أن يدرك سره
لرأى أن الجماهير رياح
وعروش الظلم ريش
ولأفلى كل فضل دموي ينتهي دوماً بفقره
يسقط الحاكم
والشعب يعيش! .

في هذه القصيدة صورة بصرية ساكنة ، فعنوان القصيدة مستوحى من بيئة الشاعر وهي الرحى التي أحسن توظيفها حين جعلها « المعادل الموضوعي» للشعب وقدرته على سحق الحكام وانتصار الشعب في النهاية ، وهي عبرة استخلصها

(6) ينظر : عناصر الابداع الفني في شعر أحمد مطر، د. كمال أحمد غنيم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1998م، ص76.

(7) ينظر: أحمد مطر- لافتات (1)، ط1، لندن ، 1984م ، (د.ت) ، ص5.

(8) أحمد مطر- لافتات (2)، ص : 122 .

الشاعر من التاريخ ، وقد بدت أثار البيئة واضحة في هذا النص ثورة- جرة- البذر- قشر- جريش- حشيش- رياح- ريش- لا يسقط الحاكم والشعب يعيش.

إذ أن ما تنطوي عليه الطبيعة من أشياء وجزئيات وظواهر هي المصدر الاساس لإمداد شاعرنا بمكونات الصورة فكثيرة من قصائده التي عرضناها استطاع أن يوظف فيها عناصر البيئة توظيفاً فعالاً فقد راح الشاعر يسبغ الحياة والصفات الإنسانية على العديد من عناصر بيئته التي ساهمت في تكوين شخصية الأبية المتمردة على الظلم والفساد ، فقد كان شاعرنا يرنو إلى واقعة فجاء شعره متمرداً ثائراً على الواقع مثالاً لكن دون جدوى يقول[9]:

أدر عينك
هل في من ترى بشر
وهل في ما ترى بشر
بلادك بشر
بلادك هذهِ اطمار شحاذ
تؤلفها رقاع مالها حصر.

تظهر هنا صورة بصرية متحركة فالشاعر يصور مأساة حقيقية ، فهو يصرخ بشعره في البرية طلباً للكرامة والحرية والوحدة ، لعل شعره الغاضب المتمرد يكون إنذاراً لوضع حداً للمأساة التي يعيشها الانسان العربي فقد جاءت مفرداته وجمله من نبع البيئة ، وقد تم توظيف عنصر المكان بشكل بارز وإن كان الشاعر خارج الوطن لكنه في مكان منه قريب يراه ولا يستطيع دخوله من ظلم الحكام وقهرهم ، فقد استعار الشاعر صورة ملابس الشاعر المثقوبة الممزقة بما تم رقعها به من رقع مختلفة الألوان فأصبحت نسيجاً غير متلائم يشبه حال البلاد العربية المتشظية أفكاراً ورغبات ونوايا مختلفة .

وقد تأثر الشاعر بشكل واضح بالقرآن الكريم، حيث أكثر من التماهي مع نصوصه ، إذ يقول احمد مطر «قدسية النص القرآني فهي عندي محفوظة بالتنصيص ، وفيما عدا ذلك استلهم روح النص أو تأثر بصدى اللفظ أو استهدي بعناصر القص وأوظفها فنياً لأظهار المفارقة وتحقيق الصدمة أو إبداء الاحتجاج حتّى أنني في كل ذلك لم أصدر إلا عن نفس مؤمنة تتصدى للاشارة إلى البون الشاسع بين ما أراد الله وبين ما تصنعه الأوثان البشرية»[10].

وإن كانت الصورة الغالبة للاقتباس من القرآن الكريم هي الإبقاء على التراكيب في هذه الايات مع تغيير الكلمات والدلالات ومن ذلك قوله من قصيدة (قلة أدب)[11]:

قرأت في القرآن
«تبت يدا أبي لهب» [12]
فاعلنت وسائل الاذعان:
أن السكوت من ذهب .

تبرز هنا صورة لمسية اقتباس من القرآن الكريم فالشاعر يعبر من خلال هذا التناص[13] الجميل

(9) من قصيدة على باب القيامة- احمد مطر، ص : 1 .

(10) موقع الساخر، لقاء احمد مطر، الساعة التاسعة مساءا، 2015/1/17، ص18.
(11) احمد مطر- لافتات (1) ، ص: 11 .
(12) المسد، آية رقم (1).
(13) التناص : في الادب هو مصطلح نقدي يقصد به وجود تشابه بين نص واخر او بين عدة نصوص ، هو مصطلح صاغته (جوليا كريستينا) للاشارة الى العلاقة المتبادلة بين نص معين ونصوص اخرى وهي لا تعني تأثير نص في اخر او تتبع المصادر التي استقى منها نص تضميناته من نصوص سابقه ، بل تعني تفاعل انظمه اسلوبيه ، وهو من هم الاساليب

عن واقع عربي مهزوم موضحاً معاينة من خلال توظيف هذا التراث الاسلامي مستخدماً أبسط الأساليب البعيدة عن الغرابة والتكلف ، ليخلق بذلك مفارقة بين مدلول النص القرآني ، والمدلول الجديد الذي اكتسبه النص الشعري من خلال التحوير، والمعنى العام للأبيات الشعرية هذه في كبت الحريات الشخصية وإرغام الشعوب على الصمت تجاه ظلم الحكومات .

ومن ذلك أيضاً ما ورد في قصيدته (إعجاز) التي يقول فيها [14] :

لو البحار أصبحت
جميعها دواة
لو شجر الغابات
صارت جميعها قلماً
ما نفذت إفادتي
لدى المخابرات

في هذا النص صورة بصرية مقتبسة من سورة الكهف ، فكلمات القصيدة تتماهى مع كلمات الآية الكريمة «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البر قبل أن تنفد كلمات ربي»[15] وإن كان معنى الآيات الكريمة يعطي معنى الإعجاز الإلهي ، لكن شاعرنا يوظف هذا المعنى توظيفاً يقسم بالمفارقة الساخرة التي تكشف للمتلقي بشاعة أساليب المخابرات مع المواطنين الشرفاء، مستخدماً أسلوباً ساخراً من خلال لغة مكثفة لا يكتنفها الغموض.

وقد نجح التناص مع النصوص القرآنية الكريمة لخلق مفارقة الأجواء النفسية للآيات وإبراز مدى تطاول الحكام على العدل الالهي وكأنهم يفرضون أنفسهم آلهة تعبد بدلاً من الله عز وجل .

وفي قصيدته التي بعنوان (ورثة ابليس) يقول [16]:

وغاية الخشونة
أن تندبوا
قم يا صلاح الدين قم
حتّى اشتكى مرقده محوله العفونة
كم مرة في العالم توقظونه
كم مرة على جدار الجبن تجلدونه؟!
أيطلب الأحياء من أمواتهم معونة ؟!
دعو صلاح الدين في ترابه
واحترموا سكونه
لأنه لو قام حقاً بينكم
فسوف تقتلونه .

يرسم الشاعر صورة لمسية عن كناية مجردة فهو يستنكر موقف العرب من أعدائهم الذين يسومونهم الهوان دون أن يحركوا ساكناً غير الاستغاثة بالامجاد الاسلامية القديمة ممثلة في شخصيات أبطالها كصلاح الدين الايوبي ، ويكشف الشاعر عن موقف العربي المتخاذل والمتآمر في الواقع العربي دفاعاً عن كراسي الحكم كما فعلوا مع اقتراب الناس إليهم وقد قرأ أحمد مطر دواوين العديد من الشعراء القدامى والمحدثين ، ومن القدماء: المعري، وأبي تمام، وأبي فراس الحمداني ، وصفي الدين الحلي وغيرهم ، إلا أن تاثره بأعظم شاعر سياسي في الأدب وهو أبو الطيب المتنبي كان واضحاً إذ عاش حياته متنقلاً مغترباً ومات قتيلاً لإصراره على أن الشاعر ينبغي أن تكون له مكانه مساوية معنويا لمكانة السياسيين

النقدية الشعرية المعاصرة وقد تزايدت اهمية المصطلح في النظريات البنيوية وما بعد البنيوية، ينظر : أساس البلاغة ، الزمخشري ، دار صادر ، بيروت ، 1979 ، مادة نصص: ص636-635.

(14) أحمد مطر- لافتات (3)، ص29.

(15) الكهف- الآية 109.

(16) احمد مطر، لافتات (1)، ص88.

وأصحاب السلطة وفي ذلك يقول المتنبي بيته الشهير[17]:

وفؤادي من الملوك وإن كا

ن لساني يرى من الشعراء

هنا الصورة بصرية متحركة فالفكرة التي يحملها أحمد مطر في قلبه نفسها فكرة المتنبي ، وهذه الفكرة هي أن الكلمة ترفع صاحبها إذا كان موهوباً إلى مصاف الحكام وأصحاب السلطة والقرار والكلمة ترفع صاحبها أكثر واكثر إذا كان ينطق بالحق.

وفي قصيدته خطاب تاريخي يقول [18]:

رأيت جرذاً

يخطب اليوم عن النظافة

وينذر الاوساخ بالعقاب

وحوله

يصفق الذئاب.

يرسم الشاعر صورة بصرية متحركة تبدو فيها المفارقة التصويرية واضحة من خلال إبراز التناقض بين طرفين متقابلين يتمثلان في الجرذ وأعوانه من جهة والنظافة من جهة أخرى ، كذلك في الحاكم وأعوانه من جهة والشعب الشريف من جهة أخرى ، إذ يظهر العنصر الكوميدي واضحاً تتضارب معه العواطف والأفكار في سخرية مريرة تثير الضحك والبكاء في الوقت ذاته، إذ يستنكر الشاعر هذا التناقض، فالصورة تخفي وراءها بشفافية صورة الواقع العربي المتردي الذي تتحكم في مصيره زمرة من الحكام والحاشية وجمهور من المنافقين.

من الواضح أن أحمد مطر قد خاض تجربة مرة في حياته، قاسى فيها الكثير من مرارة الواقع السياسي العربي المتردي، لذا تبدو نفسه من خلال شعره مفعمة بالحزن والأسى ، لكنه بطبيعته الساخرة يمزج السخرية بالحزن ، وهو يرى أن سخريته غير مستغربة ذلك أنه من خلال استقرائه لواقع شرائح المجتمع ، وجد أن من يحسنون السخرية والإضحاك هم أكثر الناس امتلاء بالأحزان «**فضحك ضحكا مرا من شدة البكاء**»[19] وتكاد قصيدته لا تخلو من السخرية والمفارقة التصويرية، ولعل هذه القناعات تكون قد نبعت من عوامل عدة أهمها الحياة السياسية القلقة التي يعيشها الشاعر ، فضلا عن قناعته بمرارة الواقع السياسي المتردي المرير في العالم العربي القائم على القمع الداخلي والإنكار الخارجي يقول واصفاً ذلك: «سأنشغل لبعض الوقت بدفن كرامة أمة كاملة لا تزال جثتها مرمية على رصيف الشارع»[20].

وقد تكون تجربة شاعرنا معبرة عن ذات الشاعر ومدى انفعاله بموضوع ما أو تجربة خاصة ، لكننا نجد أحمد مطر يتجاوز ذاته إلى آفاق عامة سياسية أوسع ينفعل فيها بموضوع معين وتشتد عاطفته نحوه ، ما يعاظم أحساسه بالتجربة فيحولها إلى تجربة عامة .

ولكونه شاعر سياسي فلابد أن تكون له قضية محددة ، لا يجوز أن تكون غامضة ومعقدة فأنها إن كانت تفقد أهميتها وقيمتها وقدرتها على التأثير في النفوس ، وكل الشعر السياسي في الأدب العربي والأدب العالمي ، هو شعر القضايا الواضحة المحدودة ، إذ لا يجد القارئ صعوبة في فهم القضية أو التعرف على أبعادها.

(17) ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقومي ، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت ، ج1،ص159.

(18) احمد مطر، لافتات (1)، ص18.

(19) ينظر: احمد مطر، العالم ، العدد 53-185.

(20) الساخر، لقاء موقع الساخر باحمد مطر، ص2.

وينماز أحمد مطر بشجاعة نادرة يفسرها بهستيريا الحرب التي تعتري أجبن الناس في ميادين القتال، فطول معاشرته للخوف جعله رفيقه يتجاهل وجوده ويسخر منه[21]، وقد كان قمع الحريات يشكل الهاجس الأكبر في قضية شاعرنا وربما تولد هذا عن المعاناة التي لقيها في مطلع حياته في العراق، ومن ثم في أقطار عربية أخرى فأخذ على عاتقه تبني هذه القضية مهما لاقى في سبيل ذلك من الحبس و التعذيب ، ولعله قد استلهم قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) :

«متى استعبدتم الناس الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً» ، فكان لهذا أثرا واضحا في شعره لاسيما حين أن ثبت في وجدانه أنه لن يكون هناك مجتمع عربي سليم ولن يتخلص من قيود التخلف الاستعماري بأشكاله المختلفة .

وفي هذا الصدد يقول الشاعر أحمد مطر في حواره اجرته معه مجلة الحدث: «ثلاثة اشياء فقط كانت تلح عليَّ في هذا السبيل: هي أن التزم بقضية الانسان.... أي انسان بعيد عن مكاسب القبيلة وبمنأى عن الإديولوجية ، وأن يكون التزامي الفني موازيا لالتزامي الإنساني وأن أسعى من خلال هذا إلى تأكيد سماتي الخاصة بحيث يكون في حبري رائحة دمي ولكلماتي بصمات اصابعي»[22] ، فعلى الرغم من زوال الاستعمار ظاهرياً ، غير أن مظاهرة ما زالت واضحة في كل مكان ، يقول في قصيدته بعنوان «يوسف في بئر بترول» [23]:

وأرى حول البيت الاسود
بيتاً أبيض
يجري بثياب الاجرام

هنا صورة بصرية ثانية يرى فيها المواطن العربي محاصرا بثالوث استعماري محكم تتكامل عناصره وتصب جميعها في اتجاه حرمان المواطن من حريته، وتمارس ضده أبشع أنواع القمع ، حتى وصل الأمر إلى موت المواطن العربي على يد هذا الثالوث.

وقد اهتم مطر بقضية فلسطين حتى ظن بعض من كتبوا عنه أنه من شعراء فلسطين وذلك لما يحمله لها من فكر وحماس لا يقل عما يحمله أخلص شعرائها ، من هنا كانت علاقته بهذه القضية علاقة توحد لا انفصام ، وهو يرى أن مأساتها تتواصل بلا توقف على مسمع ومشهد من قادتها وأمتهم الغارقة في اللهو والتفاهات في حين أن القادة يخدعون شعب فلسطين المجاهد يقول مخاطباً الحكام العرب بهذا الخصوص[24]:

طفح الكيل
وقد آن لكم أن تسمعوا قولاً ثقيلاً:
نحن لا نجهل من أنتم
غسلناكم جميعاً
وعصرناكم
وجففنا الغسيلا
أننا لسنا نرى مغتصب القدس
يهودياً دخيلا
فهو لم يقطع لنا شبراً من الاوطان
لو لم تقطعوا من دونه عنا
السبيلا
أنتم الاعداء
يامن قد نزعتم صفة الانسان

(21) أحمد مطر- لقاء الوطن العربي، السنة التاسعة، العدد 431، الكويت، مايو 1985، ص54.
(22) مجلة الحدث، الكويت، العدد -24 يوليو 1998 ، ص 15.
(23) احمد مطر- لافتات (2)، ص17.
(24) أحمد مطر، لافتات (1)، ص60.

من اعماقنا جيلاً فجيلا
واغتصبتم ارضنا منا
وكنتم نصف قرن
لبلاد العرب محتلا اصيلا
انتم الاعداء
يا شجعان سلم
زوجو الظلم بظلم
وبنو للوطن المحتل عشرين مثيلا

هنا صورة عقلية بصرية يظهر فيها التناص القرآني بوضوح من خلال قوله : «قد آن لكم أن تسمعوا قولا ثقيلا» مع قوله تعالى « إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا»[25] مع التنزيه لجناب المتلقي القرآني المتمثل بشخصية النبي عليه الصلاة والسلام والنص المتلقى المتمثل بآياته الكريمة .

وتعيش أولى القبلتين في وجدان الشاعر الذي لا يملك سوى كلماته التي لا تقل أهمية عن المقاومة المسلحة ، يقول من قصيدة بعنوان «سوف لن ننسى لكم من هذا الجميل»[26]:

إرفعو أقلامكم عنها قليلا
واملأوا أفواهكم صمتاً طويلا
لا تجيبوا دعوة القدس
ولو بالهمس
كي لا تسلبوا أطفالها الموت النبيلا
دونكم هذه الفضائيات
فاستوفوا لها
وبوسوا بعضكم
وارتشفوا قال وقيلا
ثم عودوا
واتركوا القدس لمولاها
فما أعظم بلواها
إذ أقرت من الباغي
لكي تلقى الوكيلا.

تظهر في هذه الأشطار كناية مجردة عن الصورة السمعية تتمثل بهجاء الحكام الذين كانوا كالكابوس الذي يحمله كالجمرة في روحه وشعره هو ما دفعه إلى التمرد والتحريض ضدهم ومن ثم هجائهم الأمر الذي يشكل سمة مائزة في شعر أحمد مطر لأنهم يكممون الأفواه ويقتلون حرية التعبير عن النفس بلا خوف أو رقيب ويسمون أنفسهم بأولي الأمر وهم منشغلون عن عظائم الأمور بصغائرها ولا يقيمون للمواطن وزنا فضلا عما يقترفونه من ممارسات بشعة في حق الرعية يندي لها الجبين ، يقول في قصيدته (لهذا الإله)[27]:

أهذا الغبي الصفيق البليد
آله جديد؟
أهذا الهراء.. آله جديد
يقوم فبحثي له كل ظهر
ويمشي فيعلونه كل جيد
يؤنب هذا، ويلعن هذا
ويلطم هذا ويركب هذا
ويجري الصواعق في كل الارض
وارفع رأسي لأعلى سماء
ولو كان شنقاً بحبل الوريد
وأصرخ ملء الفضاء المديد
أني عبد رب غفور رحيم
عفو كريم
حكيم مجيد
لأنني لك احتمال سعيد
مماتي زقاق ومحياي عيد

(25) المزمل : 5 .
(26) أحمد مطر قصيدة، «لننسى لكم هذا الجميل»، منتديات عيون الوطن ، (www.x7x4.com)
(27) جريدة الوطن، العدد 6876، 12 مايو 2002م.

سأرغم أنفك في كل حال
فأما عذير وأما شهيد .

هنا اقتباس بصري متأثر بالقرآن الكريم إذ تبلغ المأساة ذروتها في وجدان الشاعر عندما تتداعى الحدود ويقتل ويسجن الالاف وتنتهك الحرمات وتدنس المقدسات بمرأى ومسمع من القادة والحكام المتخاذلين أمام ما يجري وغاية ما يقدمونه هو التنديد والشجب والاستنكار.

بدا جليا أن أحمد مطر لا يشبه شعراء عصره ولا ينتمي إليهم ، ولم يدغدغ مشاعر المراهقين بقصائد الخصر والنهدين والشعر الغجري فهو يرى فيها شيئاً آخر له علاقة بما يؤمن به ومع ذلك تحفظ الناس قصائده رغم أنها من المحرمات في عرف كل السلطات ، يقول من قصيدة بعنوان «التكفير والثورة» [28]:

لعنت كل شاعر
يغازل الشفاه والأثداء والضفائر
في زمن الكلاب والمخافر
ولا يرى فوهة بندقية
حيث يرى الشفاه مستجيرة
ولا يرى رمانة اسفة
حيث يرى الأثداء مستديرة
ولا يرى مشنقة.. حين يرى ضفيرة

تظهر في هذا النص صورة بصرية متحركة ، ترمز لاستخذاء الشعراء عن الوقوف مع المظلومين من أبناء وطنهم واهتمامهم بأمور مخزية فيها متعة وقتية ، وهم يشاهدون معاناة أبناء جلدتهم من تسلط الحكام على رقابهم ، ولعل هذه القصيدة ما يشفي غليل السائلين لماذا لم يكتب أحمد مطر في غرض الغزل الرغم أنه مجال يستهوي كل الشعراء، لكنه صرّح في غير موضع عن اهتمامه الحقيقي بقضايا وطنه الكبيرة التي شغلته عن سفاسف الأمور وصار مقارعة الظالمين شغله الشاغل .

الخاتمة

في نهاية المطاف وبعد هذه الدراسة الأدبية في دواوين الشاعر العراقي أحمد مطر ، توصلنا إلى أهم النتائج المستقاة منه ، وهي اهتمام الشاعر أحمد مطر بالقضايا الوطنية والسياسية الكبرى ومنها قضية فلسطين فضلا عن قضايا بلده الأم العراق ووقوفه سدا منيعا ضد السياسات القمعية الممنهجة التي ينتهجها السياسيون وأولي الأمر فيها ، علاوة على ذلك تبين من خلال الدراسة المرجعية الفنية والموضوعية للأفكار المطروحة في نصوصه الشعرية، ومنها المرجعية التراثية متمثلة بالنصوص القرآنية و الأمثال والأبيات الشعرية ، فضلا عن انتهاجه سياسة السخرية التي ناقش فيها هذه القضايا المهمة بقصد المفارقة ، وكان الشاعر واضحا في طرحه لأفكاره الجريئة دون خوف ولا مواربة ضاربا أمثلة رفيعة في تأكيد شجاعة الكلمة وتحمل تبعاتها التي جرت عليه ويلات السجون وغربة المنافي ، وفي نهاية البحث نسأل الله التوفيق ومنه القبول .

المصادر

1. القرآن الكريم .
2. أجمل أشعار أحمد مطر ونبذة عن حياته ، تحقيق: بنان أبو عيد ، دار حمورابي للنشر ، ط1 2007م.
3. أحمد مطر- لقاء الوطن العربي، السنة التاسعة، العدد 431، الكويت، مايو 1985
4. أحمد مطر، مجلة العالم ، العدد 185.

(28) احمد مطر، لافتات (1)، ص24.

5. أساس البلاغة ، الزمخشري ، دار صادر ، بيروت ، ط : 2 ، 1979 .
6. ديوان المتنبي، شرح عبد الرحمن البرقومي ، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت .
7. الساخر، لقاء موقع الساخر بأحمد مطر.
8. شاعر جديد يلفت الأنظار ، بقلم رجاء النقاش، مجلة (المصور) ، القاهرة ، 4-17 1987 .
9. عناصر الابداع الفني في شعر أحمد مطر، د. كمال أحمد غنيم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1998.
10. لافتات ، أحمد مطر ، ط1، لندن ، 1984م ، (د.ت) .
11. لمجموعة الشعرية الكاملة، أحمد مطر .
12. مجلة «الأديب» الطلابية، الكويت، العدد 1، إبريل 1985 ،19 .
13. مجلة الوطن العربي، الكويت، مايو 1985، العدد 431 .